



الأمانة العامة للأوقاف

الشارقة

جامعة الشارقة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بحث بعنوان:

الوقف العلمي ودوره في النهضة

المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا نموذجًا

مقدم إلى مؤتمر:

أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية

1-2 جمادى الآخرة 1432هـ/ 4-5 مايو 2011م

د. عبد الله إبراهيم المغلاج

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فإن أهم مرتكزات النهضة هي الإنسان، وإن أولى ما يعتنى به تعليمه وتثقيفه، وقد حض ديننا الحنيف على العلم حتى جعله فرضًا على كل مسلم ومسلمة، وقد كان للوقف الإسلامي دور كبير في تذليل صعاب العلم وتيسيره من خلال الإنفاق على العلماء وطلاب العلم ودُور العلم ومراكزه وأدواته ونتائجه، فعزّ العلم وأهله.

وفي حاضرنا تضطلع بعض المؤسسات والهيئات الخيرية والأهلية بالقيام بهذه المهام لتصل الحاضر بالماضي، وتعود للأمة مكانتها، وتنهض من وهدتها، ومن هذه المؤسسات المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا في الشارقة، التي أرسى قواعدها حاكم الشارقة الشيخ سلطان القاسمي- وفقه الله- وكانت هذه المؤسسة ثمرة من ثمرات ندوة (آفاق البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في العالم العربي)، التي نظمتها جامعة الشارقة بتاريخ 24-26 نيسان/أبريل 2000م؛ وهذا البحث يسلط الضوء على بعض جهود هذه المؤسسة وإنجازاتها -رغم حداثتها- في ظل الوقف العلمي ودوره في نهضة الأمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

عرف الوقف منذ حياة الناس الأولى؛ فقد أخبرنا القرآن الكريم عن أول بيت وضع للناس وهو الكعبة المشرفة: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ [آل عمران:96]، وقد كان بدء الوقف في الإسلام مع بناء مسجد قباء ثم المسجد النبوي وتتالى وقف الصحابة ومن بعدهم إلى يوم الناس هذا.

وقد كان للوقف دور كبير في بناء الحضارة وتنمية المجتمع، حتى قيل: إن الوقف صانع الحضارة، وسجل التاريخ حافل بالشواهد الصادقة المصدقة، فقد عم الوقف جميع مناحي الحياة؛ العلمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ... كما شملت الحيوان والنبات وغير ذلك ...

وقد اعتنى الوقف الإسلامي بجانب التعليم وجانب الصحة عناية كبيرة وفائقة، لم تصل إليها أمة من الأمم، فكان البحث العلمي أساس النهضة والحضارة، وإشعاع النور والهداية الذي اقتبست منه الأمم الأخرى فارتقت، وتخلى عنه أبناؤه فتاهوا.

والبحث العلمي عند المسلمين اليوم يواجه مشكلات كثيرة، سواء في إنتاجه أو استمراره، أو تحويله من النظرية إلى التطبيق والواقع، وقد تنبه لهذه المشكلات بعض الغيورين على دينهم وحضارتهم، على المستوى الفردي أو المؤسسي، الشعبي أو الحكومي، فقامت هيئات ومؤسسات بهذا الواجب، ومن هذه المؤسسات المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا في الشارقة، التي تأسست بتوجيهات كريمة من حاكم الشارقة الشيخ د. سلطان القاسمي– وفقه الله– وقد قامت هذه المؤسسة في ظل الوقف العلمي بجهود وإنجازات تساهم في نهضة الأمة، تستحق أن تُذكر وأن تشكر، فخصصنا هذا البحث لهذه الغاية، وجاء على النحو الآتي:

المقدمة

المبحث الأول: مفهوم الوقف العلمي وآثاره.

أ– مفهوم الوقف العلمي.

ب– من تاريخ الوقف العلمي، وأثره في نهضة الأمة.

المبحث الثاني: المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا نموذجًا للوقف العلمي

أ- تعريف بالمؤسسة.

ب- من إنجازات المؤسسة.

ج- البحث العلمي أساس نهضة الأمة وتنميتها.

الخاتمة

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه خير مسؤول.

د. عبد الله إبراهيم المغلاج

المبحث الأول

مفهوم الوقف العلمي وآثاره

أ- مفهوم الوقف العلمي:

الوقف بمعناه العام هو وضع أموال أو أصول منتجة بأعيانها، أو بتخصيص ريعها أو منافعها لأهداف خيرية خاصة أو عامة في معزل عن التصرف الشخصي[1].

*** تعريف الوقف:**

الوقف في اللغة:

أصل الوقف في اللغة المكث، قال ابن فارس: الواو والقاف والفاء يدل على تمكث في شيء, ثم يقاس عليه[2]. والوَقْف مصدر وقَف. وشيءٌ (مَوْقُوفٌ) و(وَقْفٌ) أيضًا تسمية لاسم المفعول بالمصدر. والجمع: أوقاف، ووقوف. - وأما أوقف فهي لغة رَديئة- تقول: وقَف الأرض على المساكين وللمساكين وقْفًا: حبسَها[3]. والحبس من معاني الوقف [4]، وهو اصطلاح آخر للوقف استعمله الفقهاء وهو أكثر استعمالًا، كما استعملوا التسبيل[5].

الوقف في الاصطلاح :

عرف الفقهاء الوقف بتعريفات متعددة تبعًا لنظرتهم إلى بعض عناصر الوقف وشروطه وأركانه، مع اشتراك هذه التعريفات بأصل الوقف وهو الحبس؛ فالمالكية مثلًا يذكرون (ملك الواقف) و(مدة وجوده) لبيان جواز تحبيس المنفعة المملوكة وجواز التوقيت في الوقف. والشافعية يذكرون (قطع التصرف) و(عين المال) ليشيروا إلى وقف الأعيان دون المنافع، وأن الموقوف يصبح على حكم ملك

---

[1] انظر: الوقف الإسلامي، د. منذر قحف ص17.

[2] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس135/6 (وقف).

[3] انظر: لسان العرب لابن منظور 359/9 (وقف). والمصباح المنير 2/ 669 (وقف). والمعجم الوسيط 1028/2 (وقف).

[4] انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس 128/2 (حبس). ولسان العرب 44/6 (حبس).

[5] انظر: تحرير ألفاظ التنبيه للنووي ص237. والمطلع للبعلي الحنبلي ص285.

الله تعالى. والحنفية يذكرون في التعريف بقاء الموقوف على ملك الواقف إشارة إلى عدم لزوم الوقف وحقه في الرجوع عنه، هذا لمن وافق مذهب الإمام. أما من وافق الصاحبين فيذكر عبارة (على حكم ملك الله تعالى) كما هو مذهب الشافعي. والحنبلية الذين عرفوه بـــ (تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة) لم يسلم تعريفهم من النقد، فرأى ابن عبد الهادي من الحنابلة أنه لم يجمع شروط الوقف[6].

ولعل أيسر تعريف للوقف تع ريف ابن قدامة الحنبلي بقوله: (تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة)[7].

وهذا التعريف مستمد من قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((**احْبِسْ أصْلَها وَسَبِّلْ ثَمَرَتَها**)). فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر للنّبيِّ ﷺ إنَّ المِائةَ سَهْمٍ التي لي بِخَيْبَرَ لم أُصِبْ مالًا قَطُّ أعْجَبَ إليَّ منها قد أردتُ أنْ أتصَدَّقَ بها. فقال النّبيُّ ﷺ: ((**احْبِسْ أصْلَها وَسَبِّلْ ثَمَرَتَها**)) [8]. فهو حبس مال حبسًا مؤبدًا أو مؤقتًا، في وجوه البر، للانتفاع به أو بثمرته، على مقتضى شرط الواقف.

وأغراض الوقف الإسلامي كثيرة، نقتصر منها في بحثنا على الغرض العلمي.

* **تعريف الوقف العلمي:**

---

[6] انظر: الوقف الإسلامي، د. منذر قحف ص58.

وانظر تعريف الوقف عند الحنفية: أنيس الفقهاء للقونوي ص 197. وعند المالكية: حدود ابن عرفة 539/2. وعند الشافعية: تحرير ألفاظ التنبيه للنووي ص 237، والتعاريف للمناوي ص 731. وعند الحنبلية: المطلع للبعلي الحنبلي ص 285، والمغني لابن قدامة184/8.

[7] المغني لابن قدامة184/8.

[8] أخرجه النسائي في الكبرى 94/4 (6430). وابن ماجه (801/2 (2397). وابن خزيمة 119/4 (2486). وابن حبان 262/11 (4899). والدارقطني (193/4). [إسناده صحيح]. وتسبيل الثمرة: جعلها في سبيل الله.

قال ابن عمر —كما في الصحيحين–: قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضَّيف، لا جناح على من وَلِيَها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير مُتَمَوِّل.

جُلّ الذين تحدثوا عن الوقف العلمي لم يعرفوه تعريفًا خاصًّا به، وإنما اكتفوا بالتعريف العام للوقف حسب المذاهب الفقهية —كما تقدم– وأشير هنا إلى تعريفين ذكرا للوقف العلمي، رأيت فيهما الطول الذي لا حاجة له، وضرب الأمثلة، وذكر الجزئيات والفروع التي يغني عنها الأصل، وهذان التعريفان يصلحان لشرح مفهوم الوقف لا لتعريفه–؛ التعريف الأول: «هو وقف مالي يستخدم لأغراض تحقيق تقدم علمي وتكنولوجي، ويعمل على دعم المشاريع والصناعات التي تؤدي إلى تنمية علمية واجتماعية واقتصادية في مجتمعاتنا»[9]. والثاني: «هو الوقف المجعول للجوانب العلمية؛ كوقف المكتبات، ووقف نسخ الكتب، ووقف نسخ المصحف الشريف وتجليده وتزيينه، ووقف المدارس وحلقات العلم، ووقف المتعلمين والمعلمين، ووقف القراطيس والأحبار والأقلام» [10].

واخترت لتعريفه بأنه «حبس مال حبسًا مؤبدًا أو مؤقتًا، للانتفاع به أو بثمرته، في البحث العلمي وأغراضه ». فهو وقف مالي على العلم، ومن نتائجه الطيبة أنه يحقق التقدم العلمي والتكنولوجي، ويعمل على دعم المشاريع والصناعات التي تؤدي إلى التنمية العلمية والاجتماعية والاقتصادية. ومن أمثلة ما يوقف: المكتبات، ووقف نسخ الكتب إلخ ...

وهذا المال قد يكون ثابتًا كالعقارات، أو منقولًا كالكتب، وقد يكون عينًا كالآلات والأجهزة، أو نقدًا كمال المضاربة. وقد يكون المال حقًّا ماليًّا مُتقوَّمًا كحق الطبع والنشر، أو منفعة كمنفعة المال المستأجر[11].

ومن أغراض هذا الوقف:

1- إنشاء مؤسسات تعليمية وبحثية.

2- دعم المؤسسات التعليمية.

3- دعم مؤسسات البحث العلمي.

4- إقامة المكتبات العامة والمتخصصة.

5- مساعدة الطلاب للدراسة داخل البلاد وخارجها.

---

[9] موقع المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا http://www.astf.net

[10] الوقف العلمي في بهلا: ماضيه وحاضره، للأستاذ/ خميس بن راشد العدوي http://www.al-ndwa.net

[11] الوقف الإسلامي، د. منذر قحف ص62 و64 [بتصرف].

6- مساعدة طلاب الدراسات العليا وأصحاب التخصصات النادرة.

7- مساعدة طلاب العلم الشرعي والدعاة.

8- تقديم التمويل لأصحاب المشروعات العلمية العملية النافعة.

* * *

ب- من تاريخ الوقف العلمي، وأثره في نهضة الأمة:

بلغت الأوقاف الإسلامية مكانة بحيث لا تحصر أنواعُها ومصارفها، وفيها ما لا يخطر ببال الحضارة المادية؛ ومما يذكر في هذا السياق مراعاة الحالة الشعورية للفقراء الذين قد يتنغصون من رؤية مظاهر الغنى والبذخ والترف، فتم بناء (قصر الفقراء) في ربوة دمشق لهذه الغاية، وفي ذلك يقول محمد كرد علي: ((ومن غريب الأوقاف وأجملها قصر الفقراء، الذي عمَّره في ربوة دمشق نور الدين محمود بن زنكي ؛ فإنه لما رأى في ذلك المتنزه قصورَ الأغنياء، عزَّ عليه أن لا يستمتع الفقراءُ مثلهم بالحياة، فعمَّر القصر ووقف عليه قرية داريّا، وهي أعظم ضِياع الغوطة وأغناها)) [12].

و لم يقتصر هذا على الجانب البشري بل شمل حتى الحيوان - قبل أن يعرف الغرب مؤسسات حقوق الحيوان والرفق به- فأنشئت أوقاف لإطعام الطيور والعصافير، وأوقاف للقطط، وأوقاف للكلاب الضالة، وأوقاف للحيوانات المريضة والهرمة.

والأمة التي بلغت هذه المكانة لا بد أن يكون فيها للعلم والبحث العلمي المكان الأرفع؛ إذ هو أساس الحضارة والتقدم والتنمية، ولعلنا ندرك دور الوقف في تنمية التقدم العلمي ونهضة الأمة، من قول النبي ﷺ: ((**إنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المؤمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا نَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَه، أو مُصْحَفًا وَرَّثَه، أو مَسْجِدًا بَنَاه، أو بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاه، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاه، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَها مِنْ مَالِه في صِحَّتِه وحَيَاتِه، تَلْحَقُهُ بَعْدَ مَوْتِه**)) [13]، فقد ذكر نشر العلم، والمصحف، والمسجد، وهذه الأمور الثلاثة أساس العملية التعليمية في الإسلام؛ فلا بد من معلمٍ ينشر العلم، ولا بد من منهج وكتاب للعلم، كما أنه لا بد من مكان لتلقي العلم.

---

[12] خطط الشام، محمد كرد علي 97/6.

[13] أخرجه ابن ماجه 88/1 (242). وابن خزيمة 121/4 (2490). والبيهقي في شعب الإيمان 247/3 (3448). [حسن].

وقد قام الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بهذا الوقف الذي يحقق الرفعة في الدنيا والآخرة، فتسابقوا في تعلم العلم وتعليمه ونشره، استجابة لأمر النبي ﷺ: ((**بلّغوا عني ولو آية ...**)) [14]. وقوله ﷺ: ((**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ**)) [15]. وهذه صدقة العالِم، وهذا وقفه الذي يرجو نفعه بعد موته.

* **المساجد:**

أما المساجد فقد بنيت في كل الأحياء المسلمة، فبناؤها علامة الإيمان وسبب دخول الجنة، والأجر العظيم عند الله تعالى قال ﷺ: ((**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ**)) [16]، وكانت تلقى العناية البالغة؛ فهي بيوت الله تعالى، ومحل العبادة والذكر، ومكان التعلم وتغذية الفِكر، فيها يتخلق المسلم بأخلاق الإسلام، ويتعلم النظافة والنظام، ويتعلم الانضباط والاحترام، يلقى من هو أكبر منه سنًّا وأعمق تجربة وأكثر علمًا، فيتخلق بأدبهم ويستفيد من تجربتهم وينهل من علمهم، يرقّي ظاهره بالعلم، وينقي باطنه بالذكر، كما يدرك المسلم فيها وظيفته في حياته ووظيفته في مجتمعه، وعلاقته بربه، ونفسه، والآخرين من أرحام وجيران ومسلمين وغير مسلمين، وهذا كله بفضل الجوّ الإيماني في المسجد، وخطب الجمعة والأعياد والمناسبات، وحلقات العلم ودروس الوعظ.

فالمسجد الذي وُقف لله تعالى من بادئ أمره، يمنح المسلم كل هذا الترقي العلمي والفكري والروحي، بل أكثر من ذلك، وليس هو مقتصرًا على العبادة فقط، كما يُخيّل لمن يرغب بتفريغه من مضمونه الحقيقي وتعطيل رسالته السامية.

وقد اشتهرت مساجد كثيرة في تاريخ الإسلام، كانت منارات العلم والهدى، وقبلة العلماء ومحط رحال طلاب العلم، يقصدونها من آفاق الدنيا؛ فقد اشتُهرت المساجد الثلاثة، وكانت لها منزلة خاصة في قلب كل مسلم؛ المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، والمسجد الأقصى بفلسطين، كما اشتهرت مساجد من بعدها، مثل المسجد الأموي بدمشق،

---

[14] جزء من حديث أخرجه البخاري 1275/3 (3274). والترمذي 40/5 (2669) وقال: حسن صحيح. وأحمد 159/2 (6486). وابن حبان 149/14 (6256).

[15] أخرجه أبو داود 360/3 (3662). والترمذي- واللفظ له- 34/5 (2657) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه 85/1 (232). وأحمد 436/1 (4157). وابن حبان 268/1 (66) [صحيح].

[16] أخرجه البخاري 172/1 (439). ومسلم 2287/4 (533). وفي رواية: ((**بنى الله له بيتًا في الجنة**)).

والجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع القيروان وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القَرويين بالمغرب، وجامع قرطبة، وجوامع بغداد والبصرة والكوفة، وغيرها من الجوامع المنتشرة في البلاد العربية والإسلامية على امتدادها؛ فهذه المساجد والجوامع كم حضرها من عالم يسند ظهره إلى عمود من أعمدتها أو سارية من سواريها لإلقاء الدروس والمحاضرات، وكم تخرج فيها من طلاب علم، كان لهم دور كبير في نشر هذا العلم في الآفاق، وكم من هذه الجوامع تحول إلى جامعة رسمية أو كان نواة جامعة.

*** الكتاتيب والمدارس:**

كما أن كثيرًا من هذه المساجد والجوامع وُقفت إلى جوارها كتاتيب ((لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيء من علوم العربية والرياضة، وكان الكتّاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر...)) وكانت هذه الكتاتيب تلقى الدعم من وقف الحكام والأمراء والأغنياء بالمكافآت المالية والعينية[17]، ((ثم قامت المدرسة بجانب الكتّاب والمسجد، وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية في عصرنا الحاضر . كان التعليم فيها مجانيًّ ولمختلف الطبقات، فلم يكن يدفع الطلاب في دراستهم الثانوية والعالية رسمًا ما من رسوم الدراسة التي يدفعها طلابنا اليوم، ولم يكن التعليم فيها محصورًا بفئة من أبناء الشعب دون فئة، بل كانت فرصة التعليم متوفرة لجميع أبناء الشعب، كان يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغني، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع ... وكانت كل مدرسة تحتوي على مسجد، وقاعات للدراسة، وغرف لنوم الطلاب، ومكتبة، ومطبخ وحمام. وكانت بعض المدارس تحتوي – فوق ذلك – على ملاعب للرياضة البدنية في الهواء الطلق)) [18].

وهذا شكل آخر من أشكال الوقف، الذي كان يقفه الحكام والعلماء والأمراء والأغنياء، لتهيئة أماكن تلقي العلم، وهو المدارس الوقفية– بعد المساجد والكتاتيب– ، وقد صار لبعض هذه المدارس شهرة وصيت ذائع في البلاد؛ ومن هذه المدارس:

المدرسة البيهقية بنيسابور، والمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية والمدرسة المسعودية ببغداد، والمدرسة النورية والمدرسة الصالحية بحلب، والمدرسة العادلية والمدارس النورية بدمشق، والمدرسة الفاضلية والمدرسة الصالحية والمدرسة الظاهرية بالقاهرة، والمدرسة المؤَيَّديّة بتعز، والمدرسة الغياثية ومدرسة قايتباي بمكة، والمدرسة الشهابية بالمدينة المنورة، والمدرسة النصرية بغرناطة، ودار الحديث

(17) انظر: من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي ص129.

(18) انظر: السابق ص130.

بدمشق، ومدارس القيروان وتونس بتونس، والمدرسة الأفضلية، والمدرسة التِّنْكِزِيّة، والمدرسة الأشرفية، والمدرسة الطازِية بالقدس[19].

هذه بعض المدارس التي ملأت العالم الإسلامي على امتداد رقعته، وقد كان الواقفون لهذه المدارس يبادرون بالإنفاق عليها، وعلى معلميها وطلابها ومتطلباتها، ووقفوا عليها أموالًا كثيرة، وحسبنا أن نأخذ مثالًا لذلك المدرسة المستنصرية ببغداد، يقول ابن كثير: ((في سنة إحدى وثلاثين وستمائة كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يُبن مدرسة قبلها مثلها، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهًا، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث وقارئان وعشرة مستمعين، وشيخ طب وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد... ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها[20]. ووقف عليها المستنصر أوقافًا عظيمة حتى قيل إن ثمن التبن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها... فكانت هذه المدرسة جمالًا لبغداد وسائر البلاد[21].

*** الكتب والمكتبات:**

الكتاب أداة من أدوات التعلم، لا يستغني عنه عالم أو متعلم، لذلك بادر أهل الخير والفضل بوقف الكتب والمكتبات، حتى لا تكاد تجد مدينة تخلو من مكتبة عامرة بالكتب، والمكتباتُ الوقفية منها ما كان ملحقًا بجامع أو مدرسة أو مستشفى، ومنها ما كان مستقلًا، وقد نالت أكثر هذه المكتبات شهرة، لما احتوته من نفائس الكتب التي يحتاج إليها طلاب العلم؛ فمن هذه المكتبات:

مكتبة بيت الحكمة ببغداد، ودار العلم بالموصل ودار العلم ببغداد، وبيت الكتب بالري، ودار الحكمة بالقاهرة، ودار الكتب بفيروزآباد بإيران، وخزانة الوزير المغربي في منطقة الجزيرة بالشام، وخزانة الكتب بحلب، ومكتبة الحكَم بالأندلس، ومكتبة بني عمار بطرابلس-لبنان، ومكتبة الفتح بن

---

[19] انظر: دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، د. حسن عبد الغني أبو غدة، ص211-213. وانظر: دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، د. عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحمن ص367.

[20] البداية والنهاية لابن كثير 13/ 163.

[21] السابق 13/ 186.

خاقان ببغداد، ومكتبة بني جرادة ببغداد، ودار الكتب في مدينة ساوة شمالي إيران، ومكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، وغيرها من المكتبات التي حوت الكثير من المراجع في شتى العلوم[22].

وفي وصف دار الحكمة يقول المقريزي: في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس إليها، ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها مما التمسه، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس فيها القرّاء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوّام وخدّام وفرّاشون، وغيرهم وسموا بخدمتها، وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم، والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعًا لأحد قط من الملوك. وأباح ذلك كله لسائر الناس، على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب، والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضًا، التي لم يسمع بمثلها من إجراء الرزق السنيّ، لمن رسم له بالجلوس فيها، والخدمة لها من فقيه وغيره، وحضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر، والأقلام، والورق والمحابر...)) [23].

كما أن أكثر المساجد والجوامع الكبيرة في المدن الكبرى كانت لها مكتبات، كمكتبة الحرم المكي، ومكتبة المسجد النبوي، ومكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة جامع الزيتونة، ومكتبة الجامع الأموي، ومكتبة جامع غرناطة، وغيرها من المكتبات.

وكذلك المعاهد والمدارس الوقفية، التي مرّ ذكر بعضها، فقد كان فيها مكتبات علمية لتكون في متناول أيدي الباحثين وطلاب العلم.

وكذلك وقف لبعض المستشفيات مكتبات يستفيد منها الأطباء وبعض المرضى، كمكتبة المستشفى المنصوري ومكتبة مستشفى أحمد بن طولون بالقاهرة، ومكتبة المستشفى العضُدي ببغداد، ومكتبة مستشفى نور الدين زنكي بدمشق.

ولا يخفى ما لهذه المكتبات من دور ريادي في تنمية الثقافة، ودفع عجلة التقدم والنهضة.

---

[22] انظر: دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، د. حسن عبد الغني أبو غدة، ص 218-219. عن: الوقف وبنية المكتبة العربية للدكتور يحيى الساعاتي ص 36-47، 48، 52، 108-113. ومن روائع حضارتنا للدكتور السباعي ص 157-158.

[23] المواعظ والاعتبار (الخطط المقريزية) للمقريزي 2/274-275.

وإذا كان ماضينا مشرقًا، فإن حاضرنا يحاول استلهام هذه الإشراقة، وإن اختلفت الأدوات والأساليب، فنحن لا نعدم الغيورين – من أبناء المسلمين– على هذا الدين ورفعته والسعي إلى عودة مجده، من خلال إحياء سنة الوقف، ولو نظرنا نظرة سريعة في هذه البلاد الطيبة — على سبيل المثال– لوجدنا نماذج مشرّفة، تستحق أن تكون نماذج يحتذى بها، فعلى المستوى الجامعي نجد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، التي وقفها سعادة جمعة الماجد، وكذلك مركزه الثقافي؛ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، وجامعة آل لوتاه العالمية بدبي، ومركز الأمير عبد المحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية بالشارقة، ومكتبة الشيخ عبد الله بن علي المحمود بالشارقة، ومكتبة الشيخ عبدالله بن محمد الشيبة الشرعية بعجمان، وكذلك المعاهد الدينية في أبو ظبي ودبي، ومراكز تحفيظ القرآن على مستوى الإمارات كمراكز الشيخ زايد، ومراكز الشيخ مكتوم بدبي، وجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ومراكز مؤسسة علوم القرآن والسنة بالشارقة، ومؤسسة القرآن الكريم وعلومه برأس الخيمة، وما تقوم به بعض فروع الأوقاف من وقف مبان أو أسواق أو غيرها، كالمبنى الذي سلمته أوقاف الشارقة للمنطقة التعليمية فيها، ولو أردنا أن نسترسل في تعداد هذه المآثر لاحتجنا إلى وقت طويل وورق كثير، وحسبنا أن نختم هذا بالإشارة إلى المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا في الشارقة، وهو موضوع المبحث الثاني.

* * *

المبحث الثاني

المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا نموذجًا للوقف العلمي

أ– تعريف بالمؤسسة[24]:

تعتبر المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا منظمة إقليمية ودولية مستقلة، غير ربحية وغير حكومية، ساهم في تأسيسها علماء وباحثون من داخل الوطن العربي ومن خارجه، إضافة إلى ممثلين عن مراكز علمية عربية ودولية.

تتخذ المؤسسة من الشارقة مقرًّا لها، في دولة الإمارات العربية المتحدة، وترغب في إنشاء فروع وروابط لها في عواصم عربية ودولية تتوفر فيها هيئات ترغب بالمشاركة في نشاطاتها.

---

[24] مرجعنا في المبحث الثاني عمومًا: الكتيّبات والنشرات التي أصدرتها المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا، إضافة إلى موقعها الإلكتروني على الشبكة http://www.astf.net

جاء تأسيس المؤسسة بناء على توصية المشاركين في ندوة: (آفاق البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في العالم العربي)، التي نظمتها جامعة الشارقة بتاريخ 24-26 نيسان/أبريل 2000م، وشارك فيها 425 عالمًا وعالمة من داخل الوطن العربي ومن خارجه؛ ففي الجلسة الأخيرة للندوة، بادر سمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى وحاكم الشارقة، بالإعلان عن تأسيسها، وتبرع بمبلغ مليون دولار أمريكي من أمواله الخاصة، ومنح المؤسسة مقرًّا لها في مباني جامعة الشارقة لتنطلق منه في إدارة أعمالها، كما تم انتخابه رئيسًا فخريًّا لها.

يتألف مجلس إدارتها ومجلسها الاستشاري من كوكبة من العلماء العرب ذوي الإنجازات العلمية المتميزة، والشهرة على المستويين الوطني والعالمي.

تنظم المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا مؤتمر (آفاق البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في العالم العربي) مرة كل سنتين، ويشكل المؤتمر منبرًا لتوجيه التعاون بين البحث العلمي والتطوير التكنولوجي نحو تحقيق التنمية المستدامة في الدول العربية.

وتحرص المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا على عقد هذا المؤتمر بهدف دعم وتعزيز التنسيق والتعاون بين العلميين كأفراد، وكذلك بين العلماء والمؤسسات العلمية. والتعاون في إجراء البحث العلمي يعطي مخرجات ذات جودة أفضل وتكلفة أقل. كما تستقطب فعاليات هذا المؤتمر العلماء العرب في المهجر للتعاون مع العلماء داخل الوطن العربي.

وتقوم هذه المؤسسة بالتعرف على النشاطات البحثية العلمية التي يجريها علماء عرب في العلوم والتكنولوجيا في الوطن العربي، وإلى تقديم الدعم لها. وتقوم بدور الوسيط بين كل من ينتج ومن يطوِّر ومن يموِّل ومن يستفيد من البحث العلمي.

وتعد المؤسسة هي الناظر على الوقف، وذلك من خلال تشكيلها لهيئة مستقلة للوقف، من أهل الخبرة والاختصاص، من علماء الشريعة وعلماء التكنولوجيا، تقوم بالإشراف على الوقف.

وقد حددت المؤسسة أهدافها بالآتي:

1- دعم وتشجع الأداء العلمي والتكنولوجي في مجتمعاتنا.

2- التوظيف الفعال للطاقات العلمية والتكنولوجية، وتوجيهها نحو امتلاك المعرفة، وخدمة القضايا التنموية.

3- تنمية الابتكارات الوطنية لدعم الصناعات الصغيرة والمتوسطة.

4- الحد من هجرة العقول العلمية، والاستفادة منها ومن العقول المهاجرة في تنمية الاقتصاد القومي.

5- العمل على حماية كوادرنا العلمية وكفاءاتنا الأكاديمية من الخبراء والمتخصصين، من الأوضاع الصعبة التي يتعرضون لها، وتقديم الدعم اللازم للمحافظة عليهم؛ ليكونوا أداة بناء ونهضة لمجتمعاتنا.

6- نشر المعرفة العلمية في مجتمعاتنا، وإحداث النهضة العلمية فيها.

7- تثبيت أركان الاقتصاد، وإقامته على دعائم علمية وتكنولوجية راسخة.

8- الوصول لحلول تقنية لمكافحة الفقر، وتوفير فرص عمل.

أما مجالات العمل فهي:

1- دعم المجتمع العلمي والتكنولوجي في مختلف المجالات والتخصصات.

2- دعم امتلاك المعرفة من خلال تسجيل (براءة اختراع) حسب النظم الدولية، وذلك للمحافظة على مخترعات علمائنا.

3- تقديم المساندة والدعم لكوادرنا العلمية، وكفاءاتنا الأكاديمية من الخبراء والمختصين، في ظل المخاطر والظروف الاستثنائية.

4- إدارة وتمويل البحوث التي تنتهي بمنتجات ريادية، وتأتي بتقنيات متطورة.

5- دعم البحوث العلمية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتحويلها لمشاريع إنتاجية.

6- دعم بحوث تطوير منتجات علمية ذات الجدوى الاقتصادية.

7- دعم برامج تطويرية صناعية قائمة.

8- دعم تطوير تكنولوجيا لتنمية المجتمعات الفقيرة.

9- تمويل المشاريع الصناعية العلمية ذات الجدوى الاقتصادية والمتعثرة بسبب قلة التمويل.

* * *

ب- من إنجازات المؤسسة:

يمكن أن نقسم مشروعات المؤسسة إلى ثلاث مجموعات:

أولًا: مشروعات تحولت إلى منتجات:

1- اختراع جهاز للتشخيص المبكر لأية عيوب في قلب الجنين قبل الولادة، وتبيان الحالة الصحية للجنين، مما يزيد من فعالية العلاج المناسب.

2- تصميم جهاز لتنقية الدم عند مرضى العجز الكلوي (جهاز دورة دموية خارجية متطورة).

3- إنتاج نوع جديد من الإسمنت سريع التصلب، بمواصفات عالمية فائقة الجودة، ومن مواد محلية قليلة الكلفة.

4- تطوير مادة تستخدم في صناعة الأطراف الصناعية، من مواد محلية، وبأجهزة غير مكلفة، وسهلة الاستعمال.

5- تطوير جهاز مطابقة فحص خصائص الدم بشكل سريع؛ (3-5) دقائق بدلًا من (30) دقيقة.

6- تطوير مركب غير مكلف، وصديق للبيئة؛ لمكافحة دودة النيماتود.

ثانيًا: مشروعات تحولت إلى شركات:

1- الشركة العربية لصناعة المواد الزراعية الحيوية(ABI).

(تقوم بصناعة مبيدات طبيعية حيوية للآفات الزراعية).

2- الشركة العربية للتقنيات الحيوية(ABC).

(تقوم بتقديم الاستشارات وإعداد البحوث والدراسات التطويرية في مجال التكنولوجيا الحيوية).

3- شركة المضافات الكيماوية المتقدمة(ACI).

(تقوم بإنتاج مواد كيماوية متطورة للخرسانة الجاهزة والإسمنت وغيرها من مواد البناء).

4- شركة التقنيات الحيوية للبحث والتطوير(RDP).

تقوم بإنتاج أجسام مضادة وحيدة ومتعددة الخلايا ذات تطبيقات متعددة في مجال التشخيص والبحث العلمي).

ثالثًا: مشروعات قيد الإنجاز:

1- مكافحة مرض الصدفية، عن طريق علاج مستمد من الأعشاب المحلية.

2- مكافحة حشرات وآفات الخضراوات في لبنان.

3- لقاح ضد قراد الأبقار والجمال.

4- الهندسة الوراثية لتحسين الجفاف في القمح المغربي.

5- وحدة إسكان منخفض التكاليف في فلسطين.

6- الإسمنت من المواد الخام المحلية الرخيصة.

7- معالجة موارد المياه الجوفية في فلسطين.

8- المكافحة البيولوجية لمياه الصرف الصحي الملوثة بالمعادن الثقيلة في نهر النيل.

9- التشخيص السريع والعلاج من مرض السل.

10- جهاز اختبار اللحوم في احتوائها على مشتقات الخنزير.

11- جهاز استشعار لاسلكي لرصد نشاط القلب والتنفس.

12- صناعة الجليد بالاعتماد على الطاقة الشمسية.

13- مشروع إيجاد حل لظاهرة المد الأحمر.

14- مشروع تصميم وبناء محطة صغيرة لمعالجة المياه العادمة الثقيلة باستخدام نبات القصب.

15- مشروع إنتاج مثبت للتربة غني بالنيتروجين منخفض التكاليف.

16- مشروع معالجة التآكل في حديد تسليح المباني.

17- تطوير منظومة لتحضير مادة البارامينوفينول الصناعية.

18- مشروع تطوير منظومة جديدة لتنقية مياه الشرب.

19- مشروع السيطرة على مرض البلهارسيا، وتطوير لقاح لمنع الإصابة بالمرض.

20- مشروع تطوير أنزيمات ذات مواصفات متميزة من البكتيريا المحبة للظروف غير التقليدية والمرغوبة صناعيًا.

21- مشروع معالجة تلوثات مياه الشرب الجوفية في الوجه البحري بمصر.

22- مشروع إنتاج مواد مناعية من حليب الإبل، واستخدامها كمكملات غذائية.

23- مشروع إنتاج مضخة خفيفة للتطبيقات الطبية.

24- مشروع إيجاد تشخيص سريع لبكتيريا مقاومة للعديد من المضادات الحيوية.

هذه بعض إنجازات المؤسسة، ونسأل الله تعالى لها مزيد التقدم بما ينفع الأمة الإسلامية، والعالم الإنساني أجمع، وهي صورة من صور الوقف العلمي، تتحول من حلم إلى حقيقة، ومن أمنيات إلى واقع.

* * *

ج- البحث العلمي أساس نهضة الأمة وتنميتها:

يعتبر البحث العلمي من أهم المعايير لتقييم مستوى التطور في أي بلد؛ نظرًا لأهمية نتائجه على تطوير التكنولوجيا وعلى الإبداع في هذا المجال، مما يؤدي إلى زيادة الدخل القومي وتحسين مستوى المعيشة، ويحتاج البحث العلمي إلى التمويل لتوفير الموارد المطلوبة إلى جانب العقول المبتكرة، القادرة على إيجاد الحلول المطلوبة، وهذا يجعلنا نتبصر حالنا، وننظر إلى واقع البحث العلمي وإلى بعض الحقائق المؤلمة في موقعنا من مواكبة ركب البحث العلمي في عصر يُرفع فيه شعار (**البقاء للأقوى**)، فالعالم من حولنا يحقق قفزات هائلة في مجال البحث العلمي وبراءات الاختراع واستثمار البحوث، بينما يتراجع البحث العلمي العربي عامًا بعد آخر، وإن تقدمَ خطوة فإنه لا يواكب مئات الخطوات التي اجتازها الغرب! مع أن البحث العلمي من حيث النشأة والبداية والسبق إسلامي وعربي، كما يقرر ذلك المستشرق (فرانتر روزنتال) في كتابه (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي).

وقد يظهر لنا جزء من السبب في تأخرنا لو نظرنا إلى معدل الإنفاق على البحوث العلمية، ولو أجرينا مقارنة سريعة بين ما ننفقه على البحث العلمي، وبين ما ينفقه الكيان الصهيوني (إسرائيل) مثلًا، لتبين لنا مدى تقصيرنا وتراجعنا.

فالأقطار العربية تختلف فيما بينها من حيث حجم الإنفاق على البحث العلمي، والملاحظ أن نسبة الإنفاق على البحث العلمي بالنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي لم تتجاوز 0،5% في الأقطار العربية كافة لعام 1992م، وهي نسبة ضئيلة عند مقارنتها بمثيلاتها في السويد 2،9%، وفرنسا 2,7%.

وفي عام 1999م كانت نسبة الإنفاق على البحث العلمي في مصر 0،4%، وفي الأردن 0,33%، وفي المغرب 0,2%، وفي كل من سورية، ولبنان, وتونس 0,1% من إجمالي الناتج القومي، وتؤكد ذلك إحصاءات منظمة اليونسكو لعام 1999م. أما إحصاءات عام 2004م لنفس المنظمة العالمية، فتقول: إن الدول العربية مجتمعة خصصت للبحث العلمي ما يعادل 1،7 مليار دولار فقط، أي ما نسبته 0,3% من الناتج القومي الإجمالي. في حين نلاحظ أن الإنفاق على البحث العلمي في (إسرائيل) –ما عدا العسكري– بلغ 9,8 مليار شيكل، أي ما يوازي 2,6% من حجم إجمالي ناتجها القومي في عام 1999م، أما في عام 2004م فقد وصلت نسبة الإنفاق على البحث العلمي في (إسرائيل) إلى 4,7% من ناتجها القومي الإجمالي، علمًا بأن معدل ما تنفقه على البحث والتطوير المدني في مؤسسات التعليم العالي يوازي 30,6% من الموازنة المخصصة للتعليم العالي بكامله، ويُصرف الباقي على التمويل الخاص بالرواتب، والمنشآت، والصيانة، والتجهيزات... إلخ، على عكس ما يحدث في البلدان العربية، حيث تُصرف أغلب الموازنة المخصصة للبحث العلمي على الرواتب والمكافآت والبدلات وغيرها.. وجدير بالذكر أن المؤسسات التجارية والصناعية في الكيان الصهيوني تنفق ضعفَيْ ما تنفقه الحكومة على التعليم العالي.

وتحتل (إسرائيل) المركز الثالث في العالم في صناعة التكنولوجيا المتقدمة بعد (وادي السليكون) في (كاليفورنيا) و(بوسطن) بالولايات المتحدة، والمركز الخامس عشر بين الدول الأولى في العالم المنتجة للأبحاث والاختراعات.. أما بالنسبة إلى عدد سكانها قياسًا إلى مساحتها فتُعَدُّ الأولى في العالم على صعيد إنتاج البحوث العلمية [25].

وإذا كانت الدول العربية تنفق على البحث العلمي 0,3% من إجمالي ناتجها القومي.. والكيان الصهيوني ينفق ما معدله 4,7% في عام 2004م، وكانت إسرائيل يومها تحتل المركز الخامس عشر بين الدول الأولى في العالم المنتجة للأبحاث والاختراعات، فإن إسرائيل الآن وحسب الإحصائية التي صدرت أواخر عام 2009م تحتل المركز الرابع في إنتاج الأبحاث في العالم!

(25) انظر: أزمة البحث العلمي، موقع: محمد مسعد ياقوت http://yakut.blogspot.com

أما براءات الاختراع المسجلة في المنظمة العالمية للملكية الفكرية (wipo) عام 2008م، فكانت محصلة الدول العربية مجتمعة 173 براءة اختراع، في حين سجلت تركيا 367 براءة اختراع، أما إسرائيل فوصل رصيدها إلى 1882 اختراعًا[26].

وإذا كانت الدول (الحكومات) لا تدعم البحث العلمي من ميزانية الدولة، أو لم يخصص للبحث العلمي ميزانية كافية، أو مفروض عليها أن لا تدعم البحث العلمي، فيمكن دعمه عن طريق الجامعات والجمعيات الأهلية الخاصة والخيرية [27]، وربما لا تتوافر لذلك الميزانية الكافية؛ فيرصد من أموال الزكاة لهذه الغاية، توسيعًا لمصرف: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦٠]، وفي الوقف باب متسع، فهو نفع للأموات بجراية الثواب عليهم، وللأحياء بتحفيزهم للتقدم والتطور، كما جاء عن زيد بن ثابت قال: ((لم تر خيرًا للميت ولا للحي من هذه الحُبُس الموقوفة، أما الميت فيجري عليه، وأما الحي فتحبس عليه ولا توهب ولا تورث ولا يقدر على استهلاكها)) [28].

فهل نجد في قابل الأيام توجه عناية المسؤولين العرب وتداركهم لخطورة هذا الأمر، وتهيئة الأجواء والمحاضن الملائمة للبحث العلمي، وإتاحة الحريات أمام عقول المبدعين من أبنائنا!

---

[26] كشف الإحصاء السنوي للمنظمة العالمية للملكية الفكرية (wipo) عن هوة واضحة بين عدد طلبات براءات الاختراع العربية المقدمة لديها عبر معاهدة التعاون بشأن البراءات، وبين ما توصلت إليه بعض دول المنطقة مثل تركيا وإسرائيل؛ فقد تقدمت السعودية ومصر قائمة الدول العربية الأكثر تسجيلًا لبراءات الاختراع لدى المنظمة عام 2008م برصيد (61) و(47) على التوالي، كما تقف الدول العربية في مكانة متأخرة مقارنة مع دول الاقتصادات الناشئة. ثم تأتي الإمارات العربية المتحدة في المرتبة الثالثة برصيد (22) براءة، يليها المغرب (12) فالجزائر (11) فالأردن (6) فسوريا (5)، وثلاثة براءات اختراعات لكل من الكويت والسودان وتونس، واختراع واحد من ليبيا. وبهذا تكون محصلة الدول العربية مجتمعة (173) براءة اختراع في عام واحد، في حين سجلت تركيا (367) براءة اختراع، أما إسرائيل فوصل رصيدها إلى (1882) اختراعًا عن نفس الفترة. الجزيرة نت. http://www.aljazeera.net

[27] المعلوم أن تمويل البحث العلمي في الدول العربية يقوم على القطاع الحكومي بنسبة 80% تقريبًا، من مجموع التمويل المخصص للبحوث والتطوير، مقارنة بـــ 3% للقطاع الخاص، و 17% من مصادر مختلفة، وذلك على عكس الدول المتقدّمة و(إسرائيل).. وعلى سبيل المثال، تبلغ حصة القطاع الخاص في تمويل البحث العلمي 70% في اليابان، و 52% في (إسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية!. انظر: البحث العلمي العربي : معوقات وتحديات، محمد مسعد ياقوت. مجلة علوم إنسانية 2005م.

[28] الإسعاف في أحكام الأوقاف، برهان الدين الحنفي ص3.

لقد أثبتت التجربة التاريخية عبر القرون الماضية، الدور الكبير والعطاء المتميز للوقف في تمويل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والصحية والمجتمعية، مما ساعد على نمو الحضارة وانتشارها؛ حيث انتشرت بسببها المدارس والمكتبات والأربطة وحِلَق العلم والتأليف، وتحسنت بدعمها الأحوال الصحية وازدهر علم الطب، وأنشئ ما عرف قديمًا بالبيمارستانات (المستشفيات)، وتقدمت عملية التنمية البشرية، التي تعنى ببناء الإنسان بجميع جوانبه (الروحية والعقلية والجسمية)، وذلك من خلال تركز أموال الوقف في بناء (دور العبادة وتركيزها على جانب الروح)، والمدارس والجامعات والمكتبات وكفالة العلماء (ودور التعليم تركز على جانب العقل)، والمستشفيات والمراكز الصحية (المارستانات أو البيمارستانات) وتركيزها على جانب الجسم. إضافة إلى دعم الحركة التجارية والنهضة الزراعية والصناعية وتوفير البنية الأساسية من طرق وقناطر وجسور.

وما أحوج المجتمعات في هذا العصر إلى وجود مؤسسات وقفية- مثل المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا التي نحن بصدد الحديث عنها- تتولى كثيرًا من شؤون الحياة؛ وترعى العلماء والمخترعين، وتدعم تطوير الأبحاث، وتنمي الابتكارات. وقد تم أخيرًا تأسيس الصندوق الوقفي لجامعة زايد، لتطوير الأداء التعليمي والدراسي، والحفاظ على الاعتماد الأكاديمي العالمي، وتقديم برامج ومناهج تحقق مستويات عالمية.

ونحن نضم صوتنا إلى صوت ثلة من أكابر العلماء والدعاة [29]، لمساندة هذه المؤسسة ومساعدتها — ماديًّا ومعنويًّا- في تحقيق أهدافها، كل حسب مكانته وإمكاناته؛ الغني بماله، والعالم بعلمه وبحوثه، والعاقل والحكيم برأيه وحكمته، والداعية بتذكير الأمة بواجبها الكفائي تجاه عمل الخير

[29] دعا ثلة من العلماء إلى مساعدة المؤسسة بأموال الزكاة أو الصدقات أو الوصايا أو الوقف لتحقق رسالتها، وعلى رأس هؤلاء: د. يوسف القرضاوي- رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. وأ.د علي جمعة – مفتي الديار المصرية. ود. سلمان بن فهد العودة- المشرف العام على مجموعة مؤسسات الإسلام اليوم، عضو الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين وعضو مجلس أمنائه. ود. خالد مذكور المذكور- رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية التابعة للديوان الأميري في الكويت. وأ.د. عجيل جاسم النشمي- عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت سابقًا، وعضو الهيئة الشرعية لعدة شركات ومصارف إسلامية. وأ.د أحمد الكبيسي-رئيس جمعية العلماء بالعراق، وعضو في المجلس الأعلى في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقًا. و أ.د علي محي الدين القرة داغي- أستاذ بجامعة قطر، ورئيس جامعة التنمية البشرية، والخبير بالمجامع الفقهية الدولية، وعضو المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، وعضو مجلس الأمناء، والمكتب التنفيذي، ورئيس لجنة القضايا والأقليات الإسلامية بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. ود. عيسى زكي عيسى- عضو هيئة الإفتاء بوزارة الأوقاف، ورئيس الهيئة الشرعية لبيت الزكاة بالكويت.

وتفعيله، لتستطيع هذه المؤسسة أن تقوم بدورها الريادي في النهضة العلمية للأمة، ويكون من وراء ذلك العزة والمنعة والسؤدد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

الخاتمة

مما تقدم يتبين لنا أن:

الوقف يتميز عن كافة التبرعات الخيرية بأنه يمثل الإحسان المستدام والمتجدد.

ويمثل الوقف نقطة انطلاقة النهضة العلمية على مدى القرون، حيث تتاح المعرفة لكافة طبقات المجتمع.

والوقف يجمع بين التبرع والاستثمار، حيث يضمن الاستثمار تنمية الوقف واستمراريته.

وقد اعتنى المسلمون بالوقف العلمي، فوقفوا المساجد والكتاتيب والمدارس والكتب وكل احتياجات المعلم والمتعلم.

وقد ساهم ذلك كله في بناء الحضارة الإسلامية، وهو طريق النهضة القادمة.

من صور الوقف العلمي المعاصرة المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا، التي تعمل على استخراج الإبداع والابتكار في العلوم والتكنولوجيا، وتحويله إلى مشاريع ذات جدوى اقتصادية أو منتجات ذات قيمة مضافة. وينتج عن هذا تسجيل عدد من براءات الاختراع، ودعم شركات ناشئة، والاستثمار في عدد من الشركات.

ونتوجه بالوصية لهذه المؤسسة أن تجعل جزءًا من مشروعاتها القادمة حول الطب النبوي؛ فرسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، كما أخبر عنه ربه عز وجلّ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:3-4]، وقد لمست المؤسسة نتائج ذلك عندما قامت بإنتاج علاج للسرطان من حليب وبول الإبل باستخدام جهازها المناعي، وهي في المراحل الأخيرة منه؛ فقد تمت تجربته على فئران التجربة فنجح و لم يبق إلا تطبيقه على الإنسان، وهذا سيحدث ضجة كبرى في عالم الطب البديل، والأهم من هذه الضجة هو إنقاذ بعض مرضى السرطان الذين يموتون في كل سنة ويقدرون بستة ملايين نسمة.

كما نتوجه للخيرين الذين أنعم الله عليهم بالثراء، ويرغبون بالصدقة الجارية، والأجر العظيم عند الله تعالى، أن يخصصوا جزءًا من زكواتهم وصدقاتهم للوقف العلمي.

كما نوصي من خلال هذا المؤتمر بترسيخ (**ثقافة الوقف**) من خلال مختلف المنابر إلى مختلف طبقات المجتمع؛ فتتعاون الصحف اليومية والمجلات والإذاعات المرئية والمسموعة والمناهج المدرسية

والجامعية مع منابر المساجد في ترسيخ فكرة الوقف بما يؤدي لتهيئة الأجواء العلمية المناسبة، لعودة النهضة العلمية للعالم العربي والإسلامي.

كما ندعو إلى المشاركة في الوقف: (**الوقف الجماعي**)، ولا شك أن العمل الجماعي يثمر أكثر من العمل الفردي- وفي كلٍّ خير- ولعل هذا يكون متيسرًا لجماعاتٍ في العمل أو نادٍ أو منتدى أو جمعية من الجمعيات، لا سيما الجمعيات الخيرية.

هذا وإن الواقع المتخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية، هو مرحلة عارضة في تاريخ المسلمين، وليس حكمًا أبديًّا، لا سيما بعد أن انتشرت الصحوة في صفوف الشباب المسلم انتشار الضوء، وظهرت لهم بجلاء ووضوح الأيدي الخفية الخبيثة التي تتلاعب بمصيرهم، ومن يساندها لتحقيق وتنفيذ المخططات المرسومة.

على الرغم من هذه السحب الداكنة التي تغطي سماء الأمة الإسلامية، فلسنا يائسين؛ لأنه ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]. ونحن ننتظر تيقظ الأمة، بعد صحوتها - أو محاولتها الصحوة- حتى تأخذ مكانها اللائق بها بين أمم الأرض، تقرر مصيرها، وتسهم إسهامًا حقيقيًّا في تقرير مصير العالم، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠]. فالأمة التي صنعت الحضارة القديمة، قادرة على أن تصنع حضارة جديدة، تأخذ من حضارة الآخرين خير ما فيها من تقدم العلم، وتضيف إليها قيم الإيمان والإنسانية، وتضبط مسيرتها بالتشريعات الإلهية، وبهذا تكمل نقص الحضارة المعاصرة.

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

* * *

قائمة المصادر والمراجع

1 القرآن الكريم.

2 الإسعاف في أحكام الأوقاف. برهان الدين إبراهيم بن موسى الحنفي.
مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1406هـ.

3 أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء. قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي. تحقيق د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي.
دار الوفاء، جدة، ط1، 1406هـ.

4 البداية والنهاية. إسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق علي شيري.
دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ/1988م.

5 تحرير ألفاظ التنبيه. يحيى بن شرف النووي. تحقيق عبد الغني الدقر.
دار القلم، دمشق، ط1، 1408هـ.

6 التوقيف على مهمات التعاريف. محمد عبد الرؤوف المناوي. تحقيق د. محمد رضوان الداية.
دار الفكر المعاصر, بيروت- دار الفكر, دمشق، ط1، 1410هـ.

7 الجامع الصحيح (سنن الترمذي). محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين.
دار إحياء التراث العربي، بيروت.

8 الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري). محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. تحقيق د. مصطفى ديب البغا
دار ابن كثير- اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ/1987م.

9 حدود ابن عرفة. محمد بن عرفة الورغمي. [مطبوع مع شرح حدود ابن عرفة للرصاع]
دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م.

10 خطط الشام. محمد كرد علي.
مكتبة النوري، دمشق، ط 3، 1983م.

11 سنن الدارقطني. علي بن عمر الدارقطني البغدادي. تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني.
دار المعرفة، بيروت، 1386هـ/1966م.

12 سنن أبي داود. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
دار الكتاب العربي، بيروت.

13 السنن الكبرى. أحمد بن شعيب النسائي. تحقيق دكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن.
دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

14	سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد القزويني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، بيروت.
15	شعب الإيمان. أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.
16	صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/1993م.
17	صحيح ابن خزيمة. محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري. تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت، 1390هـ/1970م.
18	صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
19	لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. دار صادر، بيروت، ط1.
20	مسند الإمام أحمد بن حنبل. أحمد بن حنبل الشيباني. مؤسسة قرطبة، القاهرة.
21	المصباح المنير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي. مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.
22	المطلع على أبواب المقنع. محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي. تحقيق محمد بشير الإدلبي. المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.
23	معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيقعبد السلام محمد هارون. دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979م.
24	المعجم الوسيط، (مجموعة من المؤلفين بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة): إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1425هـ/2004م.
25	المغني للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. تحقيق د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو. دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى1409هـ.
26	المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. مكتبة السوادي للتوزيع، جدة. الطبعة الأولى1421هـ.

27 من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي.
المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1405هـ/1985م.

28 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط المقريزية). أحمد بن علي المقريزي. تحقيق د. محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي.
مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1997م.

29 الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته. للدكتور منذر قحف.
دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1421هـ.

من الأبحاث:

30 البحث العلمي العربي: معوقات وتحديات، د. محمد مسعد ياقوت. مجلة علوم إنسانية، عدد 24، 2005م.

31 دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي. أ.د. حسن عبد الغني أبو غدة.
المؤتمر الثالث للأوقاف: (الوقف الإسلامي اقتصاد وإدارة وبناء وحضارة) الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة 1430هـ/2009م.

32 دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي. د. عبد الرحيم بن إبراهيم بن عبد الرحمن.
المؤتمر الثالث للأوقاف: (الوقف الإسلامي اقتصاد وإدارة وبناء وحضارة) الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة 1430هـ/2009م.

من منشورات المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا:

33 ست سنوات من العطاء (2000-2006) تقرير المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا.

34 فتاوى علماء الشريعة وآراء علماء التكنولوجيا. المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا.

35 مشاريع واختراعات (عندما يتحول الحلم إلى حقيقة). المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا.

36 الوقف العلمي والتكنولوجي (من أجل تقدم علمي وتنمية مستدامة). المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا.

من الشبكة العالمية (الإنترنت):

37 موقع محمد مسعد ياقوت http://yakut.blogspot.com

38 موقع المؤسسة العربية للعلوم والتكنولوجيا http://www.astf.net

39 موقع الجزيرة http://www.aljazeera.net

40 موقع الندوة http://www.al-ndwa.net

فهرس الموضوعات

* * *